قواعد الكتابة
وآدابها عند المحدثين

الدكتور / محمد أنور محمود بيومي
مدرس الحديث وعلومه بجامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة
فرع المنوفية

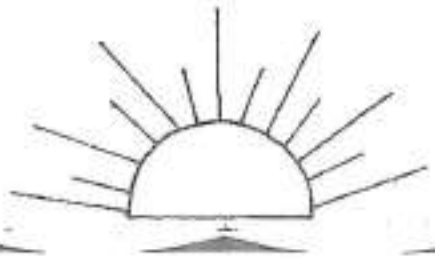

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، وأحكم كتابه ليحكم به النسم وبعث في العالمين رسولاً أمياً لتقوم به الحجة على الأمم (ﷺ) وعلى آله وأصحابه ذوي الهامات العالية والحكم ، ومن ضبط كتابه واستن سنته ونصر شريعته واتبع طريقته إلي يوم يحيي فيه الله سبحانه الخلق من الرمم ويبعثهم ليفصل بين الخلائق والأمم .

وبعد

فهذه قواعد الكتابة وآدابها عند المحدثين ، أسوقها إلي الطلاب والباحثين ليصونوا بها كتاباتهم عن الإشكال والأخطاء ، والتصحيف والتحريف .

وأظهر جهود المحدثين في فن من فنون علوم الحديث قد يراه الناس أمراً يسيراً ليس ذا بال ولكنه من الأهمية بمكان فبه يضبط الكتاب ويصان ، ويحفظ عبر الأجيال من الهوان .

وليعلم القاصي والداني مدي اهتمام علماء الحديث بسنة رسول الله (ﷺ) حتى يطمئن المسلم إلي ما معه من حديث النبي عليه الصلاة والسلام .

ومما دفعني – أيضاً إلي كتابه هذا البحث قلة اكتراث كثير من الباحثين بقواعد الكتابة مما يوقعه في الخطأ الذي يوهن كتابهم ويضعفه .

كما أردت أن أجمع هذه القواعد في مكان واحد يسهل مراجعته في أي وقت ، فكان هذا البحث الذي أعددته لهذا الغرض وأسأل الله تعالي أن يتقبله مني، وأن يجعله نافعاً لجامعه وقارئه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة تكلمت فيها عن السبب الذي دفعني إلي كتابة هذا البحث وجمعه ، كذلك اشتمل على عدة نقاط هي: –

أولاً : الكتابة بين المنع والإجازة .

ثانياً : فوائد معرفة قواعد الكتابة .

ثالثاً : أهمية الكتابة بقواعدها وآدابها .

رابعاً : قواعد الكتابة وآدابها عند المحدثين وهو الموضوع الأصلي للبحث، ذكرت فيه تسع عشرة قاعدة من قواعد المحدثين وآدابهم في الكتابة .

خامساً : الخاتمة ، ثم ذكرت ثبتاً بأهم المصادر والمراجع للبحث والله من وراء القصد وهو حسبناً ونعم الوكيل .

أولاً : الكتابة بين المنع والإجازة .

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في كتابة الحديث فكرهها طائفة منهم عمر بن الخطاب (١) ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وابن عباس وآخرون .

---

١) ذكره البيقي وابن الصلاح وابن كثير في المانعين للكتابة الكارهين لها ، وذكره في المجوزين لها السيوطي في تدريب الراوي ، والسخاوي في فتح المغيث ، ولعلهما قد تبعا في ذلك البيهقي وابن سعد والخطيب البغدادي وغيرهما ممن ذكر عمر في المجوزين للكتابة وللجمع بين هذا أقول : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يري جواز الكتابة لقوله : " قيدوا العلم بالكتابة " (أخرجه البيهقي في المدخل ٢ / ٢٣٤) . ولكنه رفض جمع السنة وتدوينها لحديث مشاورته الصحابة في ذلك حتي وافقوه عليه لكنه عدل عنه خوفاً من انشغال الناس عن القرآن ، ولعل هذا هو الذي دفع القائلين بأنه من المانعين للكتابة . والحق أنه من المسوغين للكتابة المانعين للتدوين ، والله أعلم (المدخل للبيهقي ٢ / ٢١٧ ، ومقدمة ابن الصلاح / ١٠٨ ، واختصار علوم الحديث / ١١١) .

واستدلوا على ذلك بحديث أبي سعيد – مرفوعاً – " لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن ، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه " (١) وبحديث أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نكتب الأحاديث فقال : " ما هذا الذي تكتبون ؟ " قلنا : أحاديث سمعناها منك . قال : " أكتابا غير كتاب الله تريدون ؟ ! ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما كتبوا من الكتب مع كتاب الله " . قال أبو هريرة : فقلت : أتحدث عنك يا رسول الله ؟ قال : نعم تحدثوا عني ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (٢) .

وأجازها طائفة وفعلوها منهم ابن عمر وعلي وابنه الحسن وأنس وجابر وعبد الله بن عمرو وغيرهم . ومن التابعين : الحسن وعطاء وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز ، وآخرون .

واستدلوا على ذلك بعدة أحاديث تجيز الكتابة :

١ – منها حديث أبي هريرة في التماس أبي شاه اليمني من رسول الله (ﷺ) أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام فتح مكة فقال النبي (ﷺ) "اكتبوا لأبي شاه" (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب : الزهد ، باب : التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم ١٨ / ١٢٩ رقم (٧٢) . والدرامي في سننه في المقدمة ، باب : من لم ير كتابة الحديث ١ / ١١٩ . وأحمد في المسند ٣ / ١٢ و ٢١ و ٣٩ و ٥٦ .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في كتاب تقييد العلم / ٣٣ . وفي إسناده عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف . التقريب ١ / ٤٨٠ .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب كتابه العلم ١ / ٢٤٨ رقم (١١٢) ، وكتاب اللقطة ، باب تعرف لقطة أهل مكة ٥ / ١٠٤ رقم (٢٤٣٤) ، وكتاب : الديات ، باب : من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ١٢ / ٢١٣ رقم (٦٨٨٠) . وأبو داود ، كتاب : المناسك ، باب : تحريم حرم مكة ٢ / ٢١٢ رقم (٢٠١٧) ، وكتاب : الديات باب : ولي العمد يرضي بالدية ٤ / ١٧٢ رقم (٤٥٠٥) . والترمذي . كتاب : العلم ، باب : ما جاء في الرخصة فيه ٥ / ٣٨ رقم (٢٦٦٧) وقال : حسن صحيح . وأحمد في المسند ٢ / ٢٣٨ .

٢ – ومنها ما أخرجه البخاري (١) من حديث أبي جحيفة قال : قلت : لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهماً في كتابه ، وما في هذه الصحيفة ، قلت:وما في هذه الصحيفة ؟ قال:فكاك الأسير.والعقل،وألا يقتل مسلم بكافر .

٣ – منها ما أخرجه البخاري (٢) أيضاً من حديث أبي هريرة قال : "ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله (ﷺ) مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب" وفي لفظ (٣) "ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله (ﷺ) مني إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه ، وكنت أعي ولا أكتب واستأذن رسول الله (ﷺ) في الكتابة فأذن له " .

وقد كتب عبد الله بن عمرو بعد هذا الإذن كل شيء كان يسمعه من رسول الله (ﷺ) ليحفظه حتى نهته قريش وقالت له : أتكتب كل شيء تسمعه من رسول الله (ﷺ) وهو بشر يتكلم في الرضا والغضب . قال فأمسكت ، فذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : " اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج مني إلا حق " وأشار بيده إلى فمه ، وفي رواية " ما يخرج منه إلا حق " (٤)

---

١ – أخرجه البخاري في مواطن من صحيحه منها : في كتاب العلم ، باب : كتابة العلم ١ / ٢٤٦ رقم (١١١) .

(٢) في صحيحه ، كتاب : العلم ، باب : كتابة العلم ١ / ٢٠٦ رقم (١١٣) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٤٠٢ ، والبيهقي في المدخل واللفظ له ٢ / ٢٢٩ رقم (٧٥١)

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب : العلم ، باب : في كتابة العلم ٤ / ٦٠ رقم (٣٦٤٦ . قلت : إسناده حسن لأجل الأخنس . كما رواه أحمد في المسند ٢ / ١٩٢ ، والبيهقي في المدخل ٢ / ٣٢١ رقم (٧٥٥) .

٤ – ومنها كتب النبي (ﷺ)التي كتبها مثل كتاب : الصدقات . والفرائض ، والسنن لعمرو بن حزم حين ولاه علي اليمن (١) .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : " قيدوا العلم بالكتابة " (٢) وأخرج البيهقي (٣) عن ابن عباس قوله " ما قيد العلم بمثل الكتاب " .

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن رسول الله (ﷺ) أذن بكتابة الحديث في أوقات مختلفة ، ومناسبات متعددة ، وأن نهيه السابق عن الكتابة لم يكن عاماً ولا دائماً وإنما كان لأسباب مؤقتة فصل العلماء القول فيها ليجمعوا بين أحاديث النهي عن الكتابة وبين أحاديث الإذن فيها فقالوا :

أ) إن النهي عن الكتابة كان في بداية الإسلام خشية اختلاط القرآن . فلما اعتاد المسلمون على أسلوب القرآن وميزوه عن غيره ، وحفظوه في صدورهم نسخ هذا النهي وآل الأمر إلي الجواز .

وحكي عياض الجواز عن أكثر الصحابة والتابعين منهم أبو قلابة . وأبو المليح . ومن ملح قوله فيه : يعيبون علينا أن نكتب العلم وتدونه وقد قال الله عز وجل على لسان موسى﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾(٤) .

قال أهل العلم : كان منع من منع الكتابة لما جاء من النهي عنه ، ومخافة الاتكال على الكتابة ، وترك الحفظ ، ولئلا يكتب شيء مع القرآن ، وقيل إن النهي كان في حق من يثق بحفظه ، وقيل كان منهم من يكتب فإذا حفظ محاه ،

---

(١) أخرجه البيهقي مطولاً في سننه الكبرى ، كتاب : الزكاة ، باب : كيف فرض الصدقات ٤ / ٨٩ . وإسناده حسن وقد استوعبت تخريجه في رسالة التخصص (الماجستير) ٤٨٢ .

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل ٢ / ٢٣٤ رقم (٧٥٨) .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٢٣٥ رقم (٧٦٠) .

(٤) سورة طه الآية رقم (٥٢) .

وهذا رأي حكاه الرامهرمزي ، ثم وقع بعد الاتفاق على الجواز للأحاديث المتقدمة الدالة على جواز الكتابة (١) .

ولذا قال ابن الصلاح : ثم إنه زال الخلاف ، وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته – يعني الكتابة – ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الأخرة(٢) وقال ابن كثير : وقد حكي إجماع العلماء في الإعصار المتأخرة على تسويغ كتابة الحديث وهذا أمر مستفيض شائع ذائع من غير نكير (٣) .

وقد ذكر ابن حجر أن السلف اختلفوا في كتابة العلم عملاً وتركا ثم قال : وإن كان الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم ، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.أ.هـ (٤) .

ولقد انتصر للقول بالنسخ العلامة أحمد شاكر رحمه الله واستدل على ذلك بأن حديث أبي شاه كان في حجة الوداع في أخريات حياة النبي (ﷺ) ثم انتهي الأمر إلي إجماع الأمة الثابت بالتواتر بعد الصدر الأول على ذلك عن كل طوائف الأمة (٥) .

والراجح من هذه الأقوال ما رجحه العلامة أحمد شاكر وانتصر له وهو القول بنسخ النهي عن الكتابة وذلك لثبوت كتابة كثير من السنة في عهد النبي (ﷺ) مثل حديث " اكتبوا لأبي شاه " (٦) والصحيفة المشهورة التي أمر الرسول

---

(١) إكمال المعلم ٨ / ٥٥٣ ، وشرح النووي على مسلم ١٨ / ١٢٩ ومقدمة ابن الصلاح / ١٠٨ ، وفتح الباري ١ / ٢٤٦ ، ومحاسن الاصطلاح / ١٦٦ وما بعدها ، وتدريب الراوي ٢ / ٦٥ – ٨٦

(٢) مقدمة ابن الصلاح / ١٠٩ ، وتدريب الراوي ٢ / ٥٦ .

(٣) اختصار علوم الحديث / ١١١ .

(٤) فتح الباري ١ / ٢٤٦ .

(٥) الباعث الحثيث / ١١١ .

(٦) وقد تقدم تخريجه ص (٤٣٧) .

(ﷺ) بتدوينها في السنة الأولى للهجرة والتي تعتبر دستوراً ينظم علاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم . والكتب التي راسل بها النبي (ﷺ) الملوك والأمراء . ومثل الصحف والكتب التي كتبها بعض الصحابة لأنفسهم أو لغيرهم كالصحيفة الصادقة التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص لنفسه في حياة النبي (ﷺ) وتعتبر من أهم الوثائق التاريخية للدلالة على كتابة الحديث بين يدي رسول الله (ﷺ) وبإذنه ولذا كان عبد الله يغالي بها وليس أدل على هذا مما حكاه ابن الأثير عن مجاهد قال : " أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة تحت مفرشه فمنعني . قلت : ما كنت تمنعني شيئاً ؟ ! قال : هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله (ﷺ) ليس بيني وبينه أحد ، إذا سلمت لي هذه ، وكتاب الله عز وجل ، والوهط فلا أبالي علام كانت عليه الدنيا " قال : ابن الأثير : الوهط أرض كانت له يزرعها (١) .

وقد نقل الإمام أحمد محتواها في مسنده في مسند عبد الله بن عمرو . ونشرت الآن مستقلة أكثر من مرة وعلى يد أكثر من محقق . وهناك أيضاً صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري ، وصحيفة أبي موسى الأشعري ، وكتاب أبي رافع مولي رسول الله (ﷺ) وفيه استفتاح الصلاة ، ونسخة سمرة بن جندب قد جمع فيها أحاديث كثيرة ، وصحيفة عبد الله بن أبي أوفى ، وصحيفة سعد بن عبادة الأنصاري ، وصحيفة همام بن منبه التي دونها ورواها عن أبي هريرة واعتبرت الصحيفة مما ينسب إلي الصحابة لأنها في الحقيقة لأبي هريرة (٢) .

قلت : بل إن المحدثين جعلوا الكتابة من أصول الأخذ والرواية . فتأمل .

---

(١) أسد الغابة ٣ / ٢٤٥ وقد أخرج ابن سعد هذا الخبر مسنداً في الطبقات ج ٤ / ق ٢ / ص (٢٠٨) .

(٢) بحوث في السنة المشرفة / ٢٤٩ — ٢٩٦ بتصرف .

وفي هذا كفاية لرد المزاعم الباطلة ، والأقاويل الكاذبة لقوم قالوا – بغير علم – إن السنة لم تكتب في عهد رسول الله (ﷺ) وإنما كانت تنقل للمشافهة والاعتماد على الذاكرة والحفظ ، والحفظ خوان ، حتى دونها الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه في نهاية القرن الأول مما يضعف الثقة بها .

ولكني أقول لهؤلاء قول الله عز وجل تعقيباً على افتراءات الكافرين على القرآن الكريم : ﴿ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (١) لأنه كما رأيت أن كثيراً من السنة كتب في عهد رسول الله (ﷺ) بل لا أكون مبالغاً إن قلت إن السنة كتبت في عهده (ﷺ) بدليل أن عمر بن الخطاب أراد أن يجمعها ويدونها فاستشار الصحابة في ذلك فأجمعوا على خيرية هذا العمل ووافقوه عليه لكنه عدل عن ذلك خوفاً أن ينشغل الناس بالسنة عن القرآن . فمن أين لعمر جمع السنة وهي ليست مكتوبة ؟! .

ولذا أقول لهؤلاء أنتم لم تفرقوا بين كتابة السنة التي بدأت في عهد رسول الله (ﷺ) وبين تدوين السنة الذي تم في عهد عمر بن عبد العزيز في نهاية القرن الأول وبين تصنيف السنة الذي ابتدأ بعد ذلك في منتصف القرن الثاني تقريباً . ألا ليت قومي يعلمون .

ثانياً : فوائد معرفة قواعد الكتابة :

١ – معرفة جهود المحدثين في السنة .

٢ – الالتزام بضوابط الكتابة يقي المرء أخطاء كثيرة يقع فيها من لا يلتزم بقواعد الكتابة كالتصحيف والتحريف . وهلهلة النص وانعدام ضبطه وغير ذلك

٣ – تحقيق كتب التراث ثمرة من ثمراتها لأن من قواعدها المقابلة

---

(١) سورة الفرقان الآية رقم (٤)

٤ – اتباع سنة السلف الصالح في هذا الميدان الذي كثر فيه الداخلون من غير أهله .

ثالثاً : أهمية الكتابة بقواعدها وضوابطها وآدابها :

لم يكن شأن الكتابة في الإسلام هينا يوماً ، وكيف وأول كلمة أنزلها الله سبحانه على رسوله (ﷺ) – هي " اقرأ " فكانت أول أمر تلقاه النبي (ﷺ) ثم تتابعت الآيات تذكر المنة بالقلم والتعليم به قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١)

وقد أقسم الله – عز وجل – بالكتابة وأدواتها فقال سبحانه :﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) هذا ليبين سامي قدرها وعظم شأنها لأن الكتابة سبيل من سبل حفظ هذا الدين وصيانته ، وحراسة هذه النعمة التي أنعم الله بها على عباده . وأتمها عليهم ، وأكملها لهم ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) .

ومما لا شك فيه أن الله تعالى حافظ دينه الذي ارتضاه وناصره كما أتمه واصطفاه ، ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

والإسلام بمثله ، ويعرب عنه نصان كريمان محفوظان بعناية الله عز وجل لأنه سبحانه منزلهما وحافظهما كما يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة العلق الآيات رقم (١ – ٥) .ضوابط الكتابة عند المحدثين / ١٣ .

(٢) سورة القلم الآيات رقم (١ – ٤) .

(٣) سورة المائدة الآية رقم (٣) .

(٤) سورة الحجر الآية رقم (٩) .

فقد تضمنت هذه الآية قضيتين هما : -

الأولى : أن الله سبحانه وتعالي هو منزل هذا الذكر .

الثانية : أن الله تعالي تولى حفظ هذا الذكر .

وقد اختار سبحانه صنوفاً من الناس لحفظ هذين النصين حفظاً قدس عن الشك والريب ، فاختار للقرآن أهله الذين تناقلوه حفظاً ومشافهة ، وكتابة ، عبر أجيال الأمة الإسلامية .

كما اصطفي المحدثين لحفظ سنة النبي (ﷺ) فوضع كل فريق لهذا السبيل قواعد دقيقة وأصولاً متينة – تضمن بها الأمة حفظ الأصلين وصيانة المصدرين

فأما المحدثون فانتهجوا في سبيل ذلك نهجاً تفخر به الأمة المسلمة عبر تاريخ البشرية كلها ، وتتيه به على أمم الأرض جميعها ومن هذا النهج أنهم وضعوا قواعد للتحمل والأداء ، ومما عني به المحدثون في التحمل والأداء كتابة الحديث ، فوضعوا لها الضوابط التي تصونها عن التصحيف والتحريف والقواعد التي تحفظها عن الخطأ والتزييف ، والآداب السامية التي ترصعها بجواهر التزيين . وطبقوا هذا كله عند كتابتهم الحديث ، لا يفرطون في الالتزام به ، وينثرون ذلك في مصنفاتهم دالين عليه ، منبهين إليه كي يلتزم بها الطلاب حال الكتابة . ومن قصر في ذلك من الطلاب أو الشيوخ لا يقبلون منه كمن روي من نسخ لم يقابلها بأصولها فقد جعلهم الحاكم أبو عبد الله مجروحين بذلك (١) حيث ذكر في أحوال المحدث التي ينبغي على الطالب أن يبحث عنها ، وأن يتحسسها في شيخه : "أصوله أعتيقة هي أم جديدة ؟ فقد نبغ في عصرنا هذا جماعة يشترون الكتب فيحدثون بها ، وجماعة يكتبون سماعاتهم بخطوطهم في كتب

---

(١) الإرشاد للنووي / ١٥٣ ، وفتح المغيث ٣ / ١٣٣ ، وتدريب الراوي ٢ / ٩٤ .

عتيقة في الوقت فيحدثون بها ، فمن يسمع منهم من غير أهل الصنعة فمعذور بجهله ، وأما أهل الصنعة إذا سمعوا من أمثال هؤلاء بعد الخبرة ففيه جرحهم وإسقاطهم إلى أن تظهر توبتهم ، على أن الجاهل بالصنعة لا يعذر فإنه يلزمه السؤال عما لا يعرفه . أ . هـ . (١)

وإن كان بعض العلماء قد أجاز الراوية من النسخ غير المقابلة بأصولها بشروط ثلاثة (٢) إلا أن القاضي عياض جزم بمنع الرواية عند عدم المقابلة وإن اجتمعت الشروط (٣) .

وقد أسند أبو أحمد العسكري (٤) ، عن العباس بن يزيد البحراني (٥) قال : حدثني سفيان بن عيينة بحديث ذكر فيه أن رسول الله (ﷺ) وجه عليا والزبير – رضي الله عنهما – إلى روضة خاخ (٦) فضحك علي بن المديني قال : يا أبا

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم / ١٦ ، والمدخل له / ٣٠ .

(٢) أ – أن يبين حال الرواية أنه لم يقابل .

ب – أن يكون الناقل للنسخة صحيح النقل قليل السقط .

ج – وأن النقل قد تم من الأصل لا من الفرع . فتح المغيث ٣ / ٨٤ ، وتدريب الراوي ٢ / ٧٩ .

(٣) تدريب الروي ٢ / ٧٩ .

(٤) تصحيفات المحدثين ١ / ٧٣ وأبو أحمد العسكري هو الحسين بن عبد الله بن سعيد أحد الأئمة في الأدب والحفظ مات سنة (٣٨٢) . إنباه الرواة ١ / ٣١٠ .

(٥) هو أبو الفضل البصري يعرف بالعبدي محله الصدق مات سنة (٢٥٨) . خلاصة الخزرجي ٢ / ٣٧ .

(٦) أخرجه البخاري في أكثر من موضع في صحيحة : منها في كتاب : الجهاد ، باب : الجاسوس ٦ / ١٦٦ رقم (٣٠٠٧) ، وكتاب : المرتدين ، باب : ما جاء في المتأولين ١٢ / ٣١٧ رقم (٦٩٣٩) . وروضة خاخ : بعد الألف خاء موضع بين مكة والمدينة من ناحية المدينة . معجم البلدان ٢ / ٣٨٣ .

محمد إن هشيما يقول " إلي روضة حاج " فضحك سفيان وقال : وجد في كتابه شيئاً لم يقيده فصحفه " أ . هـ .

فأنت ترى أن من لم يلتزم بقواعد الكتابة – التي وضعها المحدثون – وسوف تقف عليها بعد إن شاء الله – يقع في الخطأ والسقط أو التحريف والتزييف ، قال زكريا بن يحيي الحلواني رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقايات (١) على ظهور كتبه ، فسأله عنه فقال رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها ، فطالبناه بالأصول فدافعنا ، ثم أخرجها بعد فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيرة بخط طري كانت مراسيل فأسندها وزاد فيها (٢) .

ومن ثم جعل المحدثون (٣) ضبط الكتاب وصيانته أصلاً من أصول التوثيق في الراوي ، والإخلال بالكتاب وعدم ضبطه مما يحرج به الراوي عندهم وقد استحسن السخاوي قول بعضهم " من كتب ولم يقابل كمن غزا ولم يقاتل " (٤) وعن عطاء بن يسار مرسلاً أن رجلاً كتب عند النبي (ﷺ) فقال النبي (ﷺ) : كتبت ؟ قال : نعم . قال : عرضته ؟ قال : لا . قال : لم تكتبه حتى تعرضه فيصح (٥) . وكان عروة بن الزبير يكتب العلم للناس ويعرضه لهم (٦) وعلي هذا المنهج سار سلف هذه الأمة لضبط كتبهم وصيانتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة لمن راجع كتب الرجال وفيما ذكر كفاية وغنية لمن أراد الوقوف على أصل الحال . وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لهذا في الأدب الخامس عشر .

---

(١) يعني أنه جعل الورق الذي فيه حديث يعقوب بن كاسب كالجلدة لكتبه يحفظها بها من التلف .

(٢) ميزان الاعتدال ٧ / ٢٧٧ .

(٣) شرح النخبة / ٣٢ ، وفتح المغيث ١ / ١٥ .

(٤) فتح المغيث ٣ / ٧٧ .

(٥) أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء / ٧٧ – ٧٨ . وهو مرسل .

(٦) المرجع السابق / ٧٨ .

رابعاً : قواعد الكتابة وآدابها عند المحدثين :

قلت لك فيما سبق إن المحدثين وضعوا – فيما وضعوه – لصيانة النص النبوي – على قائله الصلاة والسلام – وحمايته من التحريف والتصحيف أو الوهم والخطأ أو الإبدال والإشكال أو غير ذلك مما ينتج عن ترك ضوابط الكتابة وإهمال قواعدها – قواعد متينة وأصولاً سامية تضمن حفظ الكتاب وضبطه فعليك بمراعاتها وأنت في هذا السبيل تسير ، وإليك هذه الضوابط والآداب مفصلة موضحة ومن الله العون والمدد .

١ – العناية بآلات الكتابة والنسخ:

لقد كانت عناية المحدثين بآلات الكتبة والنسخ عناية كبيرة واهتموا بها اهتماماً بالغاً ، لأن الإهمال فيها يفسد المكتوب ويوقع الكاتب والقارئ في أوهام وأخطاء ، وتصحيفات وتحريفات كان في غنى عنها لو اعتني بآلات الكتابة – من قلم ومحبرة ، وورق وغير ذلك – لهذا وضع لها المحدثون قواعد عامة في اختيارها واستعمالها قال الخطيب البغدادي : ينبغي أن يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة دون المداد (١) لأن السواد أصبغ الألوان والحبر أبقاها على مر الدهور والأزمان . وهو آلة ذوي العلم وعدة أهل المعرفة والفهم . وأسند عن يحيى بن أكثم القاضي أنه قال : تذاكروا الألوان عند الرشيد ، فقال بعضهم : أحسنها البياض وقال آخر أحسنها الخضرة لون الجنة . وقال آخر أحسنها لون

---

(١) المداد : هو كل ما يكتب به لسان العرب ٣ / ٣٩٨ ، أما لماذا قارن الخطيب بينه وبين ، والحبر . فيبدوا لي والله أعلم أن المقارنة وقعت من حيث الألوان فلعل للمداد لونا خاصاً به كان معروفاً عندهم ، كذلك الحال في الحبر ، والمعروف عندنا أن للحبر ألواناً كثيرة منها الأزرق ، والأسود وغير ذلك . ويمكن أن يقال عن المقارنة بينهما كانت من حيث الظهور والبقاء ، وأيما كان الحال فإن اللون الأسود مع الورق الأبيض أظهر وأبين سواء وقعت الكتابة باليد ، أم بالآلات المستحدثة الآن .

الذهب . ومحمد بن الحسن ساكت فقال له الرشيد : لم لا تتكلم ؟ فقال : لو كان صبغ أحسن من السواد لكتب به كتب الله المنزلة فاستحسن الرشيد قوله ، ووصله من بينهم (١) .

وفي أثناء الكتابة لا بد من أن يترك الحبر أثراً في كم الرجل وثوبه ويده فلا ينزعج من ذلك لأنها كالجواهر في ثوبه ، وقد أسند الخطيب عن أبي الوليد ابن برد قال سمعت أبي يقول : مثل الحبر والمداد في ثوب الرجل من أصحاب الحديث مثل القلادة في عنق الجارية .

وأسند عن عبد الله أحمد بن جنبل قال حدثني أبي قال : رآني الشافعي وأنا في مجلسه وعلى قميصي حبر وأنا أخفية ، فقال : يا فتى لم تخفيه وتستره ؟! إن الحبر على الثوب من المروءة لأن صورته في الأبصار سواد وفي البصائر بياض (٢) .

وأنشد بعضهم :

مداد المحابر طيب الرجال ... وطيب النساء من الزعفران
فهـذا يليـق بأثـواب ذا ... وهذا يليق بثوب الحصان (٣)

وأنشد آخر :

لا تجزعن من المداد ولطخـه ... إن المداد خلوق ثوب الكاتب
وابهـج بذلك إنمـا هو زينـة ... هبة من الله الجليل الواهب
وشـم المداد لكاتب في ثوبـه ... سمة تلوح له بحسن مناقب

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ / ٣٨٣ ، وينظر أدب الإملاء / ١٤٧ – ١٤٨ .
(٢) الجامع للخطيب ١ / ٣٨٦ .
(٣) المرجع السابق ١ / ٣٨٦ .

ولا يعني هذا تعمد تلطيخ الثواب بالمداد كي يتحقق له هذا الفضل ، أو ليراني به ويتظاهر بكونه من الباحثين أمام الزائرين له والجالسين ، بل إن حفظ ثوبه عن المداد وصيانته عن السواد أولى وقد أسند السمعاني (١) عن أبي العالية قال : تعلمت الكتابة والقرآن وما سعى لي أهلي وما رؤي في ثوبي مداد قط . بل إنهم استحبوا له غسله وإزالته إن أصاب المداد ثوبه (٢) . فأول آلات الكتابة والنسخ التي ينبغي العناية بها : - القلم :

منزلة القلم : يكفي أن الله تعالي كتب به مع استغنائه عز وجل عن الآلة ، فعن عبادة بن الصامت مرفوعاً " إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب . قال : رب وماذا أكتب ؟ قال اكتب مقادر كل شيء حتى تقوم الساعة " (٣) .

وقال قتادة : إن القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا القلم ما قام دين ولم يصلح عيش (٤) .

وقال الشعبي : من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب الله كتاب إلا به (٥) .

قلت : ومن جلال القلم أنه مع السيف عمدة الحق بل إنه مقدم على السيف ومفضل عليه كما قال السمعاني فروي عن بعض ملوك اليونانيين أنه قال : أمور الدين والدنيا تحت شيئين أحدهما تحت الآخر السيف والقلم،والسيف تحت القلم(٦)

---

(١) أدب الإملاء / ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) أخرجه أبو داود واللفظ له ، كتاب : السنة ، باب في القدر ٤/١١٥ رقم (٤٧٠٠) ، والترمذي كتاب : القدر ، باب : (١٧) ٤ / ٣٩٨ رقم (٢١٥٥) وقال : غريب من هذا الوجه ، وكتاب التفسير باب : ومن سورة ن ٥ / ٣٩٤ رقم (٣٣١٩) وقال : حسن غريب وأحمد في المسند ٥ / ٣١٧ .

(٤) أخرجه الخطيب في الجامع ١ / ٣٩٢ .

(٥) أدب الإملاء / ١٥٩ .

(٦) الجامع للخطيب ١ / ٣٩١ ، وأدب الإملاء / ١٥٩ .

هيئة القلم الجيد :

١ – إطالة جلفته (سنّه) .

٢ – أن يكون ليناً يكتب بيسر وسهولة .

٣ – أن يكون طرياً ينتشر منه المداد .

٤ – أن يكون سنه منحرفا إلي جهة اليمين سمينا .

٥ – أن لا يكون من الخشب الصلب القوي ليخرج الخط مستوياً .

إلي غير ذلك مما ذكره العلماء في كلامهم ، والكتاب على أقلامهم وإليك كلامهم في هذا الشأن .

قال العلماء : ينبغي أن يكون القلم ليناً يكتب بيسر وسهولة ولا يكون طريا حتى لا ينتشر خطه في السطر فيفسده (١) ويتخذ أملس العود مُزال العقود (٢) ، وقال الخطيب ينبغي أن لا يكون قلم صاحب الحديث أصم صلباً فإن هذه الصفة تمنع سرعة الجري ، ولا يكون رخوا فيسرع إليه الحفا (٣) . وتوسع فتحته وتطال جلفته (٤) . وتحرف قطته (٥) . ثم أسند عن إبراهيم بن العباس الكاتب قال : القلم الرديء كالولد العاق (٦) .

---

(١) الجامع للخطيب ١ / ٣٩١ ، وأدب الإملاء / ١٥٩ .

(٢) يرق سنة بسرعة وينتاهي . القاموس / ١٦٤٥ .

(٣) أي ليس فيه عقد .

(٤) جلفته – بكسر الجيم وفتحها : القطعة من كل شيء ، ومن القلم ما بين مبراه إلي سنة . القاموس / ١٠٣٠ .

(٥) القط هو القطع عامة ، وقيل هو قطع الشيء الصلب ، وقيل القطع عرضا فنقول قطه بقطه .. ومنه قط القلم أي سنه ، والمقط والمقطة ما يقط عليه القلم ، وهو عظم يكون مع الوراقين يقطعون عليه أطراف الأقلام . القاموس / ٨٨٢ ، ولسان العرب ٧ / ٣٨٠ .

(٦) الجامع لأخلاق الراوي ١ / ٣٩١ . وأدب الإملاء / ١٥٩ .

وأسند أيضاً – عن مهزم بن خالد قال : نظر إلي عبد الحميد بن يحيي الكاتب مولي بني أمية وأنا أخط خطا رديئاً فقال : إن أردت أن يجود خطك فأطل جلفتك ، وأسمنها ، وحرف قطتك وأيمنها (١) .

وذكر الخطيب أن ابن قتيبة قال : قال إبراهيم بن العباس لغلام يكتب بين يديه : ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلظ ، ولا تبره عند عقدة فإن منه تعقيد الأمر ، ولا تكتب بقلم ملتو ، واجعل سكين قلمك أحد من الموسى ، ولا تبر به غيره ، وتعهده بالإصلاح في كل وقت ، وليكن مقطك أصلب الخشب ليخرج القط مستوياً ، وابر قلمك بين التحريف والاستواء ، وليعتقد فكرك أن وزن الخط وزن القراءة ، وأجود القراءة أبينها ، وأجود الخط أبينه (٢) .

السكين :

وهذه ثاني أدوات الكتابة ، وهي التي كانوا يستخدمونها في بري الأقلام ، ولا تستخدم في شيء آخر وينبغي أن تكون حادة أحد من الموسى قال الخطيب : ينبغي أن لا تستعمل سكين الأقلام إلا في بريها وتكون رقيقة الشفرة ماضية الحد صافية الحديد (٣) .

ومن الطرائف التي ذكرت في سكين الكاتب وسائر أدواته أن بعض الوراقين خاصم امرأته فدعت عليه وقالت : بلاك الله بقلم حفي ، وسكين صدي وورق ردي ، ويوم ندي ، وسراج ينطفئ (٤) .

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣٩١ .

(٢) الجامع للخطيب ١ / ٣٩٥ .

(٣) الجامع للخطيب ١ / ٣٩٥ . وانظر أدب الإملاء / ١٦١ .

(٤) المرجعان السابقان ١/ ٣٩٦ ، ص (١٦٢) .

والمعني أنها دعت عليه بقلم برق سنة بسرعة وبلي من الاستعمال ، وبسكين قد علاه الصدأ فلا يبري ، وبورق رديء يتعب من يستخدمه في الكتابة، وبيوم ندي أي ممطر ففي اليوم الممطر تبتل قراطيس الورق وأوراقه .

المحبرة :

لما عاب بعضهم على أهل الحديث حمل المحابر في أيديهم قال لهم الإمام أحمد " هذه سرج الإسلام " يعني المحابر . وقال يحيي بن معين : إظهار المحبرة عز(١). وقال الشافعي : لولا المحابر لخطب الزنادق على المنابر (٢).

وقد كره العلماء أن يخرج الطالب إلي مجالس الحديث ليس معه محبرة فقد قال علي بن المديني : تدرون من الطفيلي في أصحاب الحديث ؟ قال : الذي يكتب من محابر الناس (٣). وقال الشافعي : من حضر مجلس العلم بلا محبرة كان كمن حضر الطاحونة بلا طعام (٤). يعني طعام يطحنه فكان حضوره من أجل ذلك بلا معني .

ومع ذلك لو حضر مجلس العلم بلا محبرة فليس عليه حرج أن يكتب من محابر الغير ، شريطة ألا يعتاد هذا ، وألا يفعله عن بخل وشح ، وأن يستأذن صاحب المحبرة إلا أن يعلم رضاه بذلك ، فإن السلف كانوا يفعلون ذلك ، فعن محمد بن إبراهيم الأنماطي قال : كنت عند أحمد بن حنبل وبين يديه محبرة ، فذكر أبو عبد الله حديثاً فاستأذنته أن أكتبه من محبرته ، فقال : اكتب يا هذا ، هذا ورع مظلم . وكان ابن المبارك يقول : ليس على محابر أصحاب الحديث

---

(١) الجامع للخطيب ١ / ٣٨٧ .

(٢) أدب الإملاء / ١٥٣ .

(٣) المرجع السابق / ١٥٦ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

إذن . وكان يستدل على ذلك – كما في رواية أخري – بقوله تعالي ﴿ أو صديقكم ﴾ (١) .

ولقد كانت سنة طلاب الحديث أنهم لا يذهبون إلي مجالس العلم وطلب الحديث إلا والمحابر معهم حتى إنهم كانوا يعرفون عدد الطلاب في المجلس الواحد بعدد المحابر فقد عُد في مجلس السيد أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي رحمه الله ألف محبرة (٢) .

وقد أسند السمعاني " أنه كان في مجلس جعفر الفريابي (٣) رحمه الله – من أصحاب المحابر من يكتب حدود عشرة آلاف إنسان " (٤) .

قلت : ومن علامة ضياع العلم تهاون طلابه في استصحاب أدوات الكتابة إلي مجالس العلم فتري الواحد منهم قد حضر وليس معه ورق ولا قلم ولا كتاب فتتساءل علام حضورك ؟! ومن ثم فقد تأسف السمعاني على قلة المحابر فقال : رحم الله السلف الماضيين كان العلم في زمانهم مطلوباً والرغبات متوافرة والجموع متكاثرة فالآن خمد ناره وقل شراره وكسد سوقه حتى سمعت أبا حفص عمر بن ظفر المغازي ببغداد مذاكرة يقول : فرغنا من إملاء الشيخ الفضل بن يوسف فطلبنا محبرة نكتب منها أسامي من حضر فما وجدنا (٥) .

---

(١) سورة النور الآية رقم (٦١) . وانظر أدب الإملاء / ١٥٦ – ١٧٥ ، وفتح المغيث ٣ / ٥١

(٢) أدب الإملاء / ١٨ .

(٣) هو الإمام الحافظ الثبت شيخ الوقت أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي من بلاد ما وراء النهر ، مات سنة (٣٠١) قال أبو أحمد بن عدي كنا نشهد مجلس الفريابي وفيه عشرة آلاف أو أكثر . سير أعلام النبلاء ١٤ / ٩٦ .

(٤) أدب الإملاء / ١٧ .

(٥) المرجع السابق / ١٨ .

قلت : للإمام تتأسف على ندرة المحابر في مجلس العلم في القرن السادس الهجري ، فما بال الإمام لو أطل على زماننا ونحن في القرن الخامس عشر الهجري فرأي هجر الطلاب لدروس العلم وزهادة الناس فيه وانصرافهم بالكلية عن طلبه ورغبتهم عنه جرياً وراء رغباتهم ودنياهم كي يحققوا من مآربهم الترابية شيئاً حتى عز العلم بين الناس .

وقد أنشد بعضهم : (١) .

إذا رأيت شباب الحي قد نشؤوا ... لا ينقلون قلال الحبر والورقا
أولا تراهم لدي الأشياخ في حلَق ... يعون من صالح الأخبار ما اتسقا
فدعهم عنك إنهم همج ... قد بدلوا بعلو الهمة الحُمُقا

الورق والقرطاس (الكاغد) :

هذه رابع آلات الكتابة فقد تقدمها القلم ، ومبراته ، ومداده ثم يأتي بعد ذلك الورق الذي يكتب عليه ، فينبغي أن يكون ورقا ليناً رقاقاً وهو مما أقسم الله عز وجل به في كتابه فقال "والطور وكتاب مسطور ، في رق منشور" (٢) فالرق هنا ما يكتب فيه شبه الكاغد (٣) . وقيل لوراق (٤) مرة : ما تشتهي ؟ قال قلما مشاقاً (٥) وحبراً برقاً (٦) وجلوداً رقاقاً (٧) .

---

(١) المرجع السابق / ١٥٤ .

(٢) الطور ١ : ٣ .

(٣) مفردات الراغب / ٢٠٦ . والكاغد – بفتح الغين – هو القرطاس ، معرب . القاموس / ٤٠٢

(٤) أدب الكاتب / ٩٥ ، والجامع للخطيب ١ / ٣٩٧ ، وأدب الإملاء / ١٦٣

(٥) مشاقاً : سريع الجري في الورق ، ومشق الخط يمشُقه مشقاً مده وأسرع فيه . لسان العرب ١٠ / ٣٤٥ . (مشق) .

(٦) الراق : المتلألأ الصافي اللامع . لسان العرب ١٠/١٥ ، والقاموس / ١١٨ (برق)

(٧) البرقاق : اللين المتسع . القاموس / ١٤٥ . (رقق) ز

وهذا الذي ذكرناه من أدوات الكتابة وآلاتها – كان من أهم المهمات عند المتقدمين لأنه لم يكن هناك وسيلة للضبط فوق الكتاب ، والكتاب لا يتوفر إلا منسوخاً ، وإذا كان الناسخ رديء الخط أو مهملاً في استعمال أدوات الكتابة ، فالتحريف والتصحيف والخطأ واقع في النص لا محالة (١) .

فإن قيل : إن هذا الآن ليس ذا بال ، لانتشار الطباعة واستغناء طلاب العلم عن النسخ والكتابة (٢) . بالآلات الحديثة .

قلت : إن هذا مما لا يستغني عنه أبداً فلا يزال العمدة في الكتابة هو خط اليد وأدواتها القلم والقرطاس والورق ، وإن كان قد استحدثت أشياء وأدوات للكتابة تغني عن كثير مما سبق لأنها تقوم مقامها مثل " المبراة " وهي ما يسمي " بالبراية " مكان السكين ، مثل الأقلام الجاف والحبر المعدة للكتابة خصيصاً بطريقة مهيأة لها فهذا يقوم مقام حمل المحبرة .

وكثر الورق ، وانتشرت أنواعه بصورة طيبة تخدم عملية الكتابة فما من أحد إلا وهو يكتب في بادئ الأمر باليد والأقلام والأوراق ثم استخدم للنسخ بعد آلات أخري مثل الآلة الكاتبة ، والحاسب الآلي وهذا من فضل الله على الإنسان حيث علمه ما لم يكن يعلم،علمه بالقلم ،قال قتادة في قوله سبحانه﴿علم بالقلم﴾(٣) إن القلم نعمة من الله عظيمة ، ولولا ذلك لم يقم الدين ولم يصلح عيش (٤)

فعلي الباحث والكاتب أن يهتم بأدوات الكتابة ويعني بها أكبر عناية أيا كان نوعها الآن .

---

(١) ضوابط الكتابة / ١٤ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) سورة العلق الآية رقم (٤) .

(٤) الجامع للخطيب ١ / ٣٩٢ ، وفتح القدير للشوكاني ٥ / ٤٦٨ .

٢ – توضيح الخط وإظهاره وتحسينه وتجويده :

لقد استحب علماء الحديث لمن يكتب الحديث تحقيق الخط دون مَشْقه(١) وتعليقه (٢) .

ولذا قال عمر بن الخطاب (ﷺ) شر الكتابة المشق ، وشر القراءة الهذرمة ، وأجود الخط أبينه (٣) .

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لكاتبه : ألق دواتك ، وأطل سن قلمك ، وافرج بين السطور ، وقرمط بين الحروف (٤) .

وكرهوا تدقيق الخط ، لأنه لا ينتفع به من في نظره ضعف ، وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به وقد قال أحمد بن حنبل لابن عمه حنبل ابن إسحاق ورآه يكتب خطا دقيقاً : لا تفعل ، أحوج ما تكون إليه يخونك (٥) .

---

(١) والمشق بالكسر والفتح في أوله وإسكان ثانية – هو سرعة الكتابة وخفة يد الكاتب بها ، وإرسالها مع بعثرة الحروف وعدم إقامة الأسنان . (فتح المغيث ٣ / ٤٩ . وتدريب الراوي ٢ / ٧٠) . وجاء في القاموس / ١١٩٢ : أن المشق في الكتابة مد حروفها ، وقالوا هو مفسدة للمبتدي وتهاون من المنتهي ، وقالوا لمن زين كتابته وحسنها : حبرها ، ونمقها ، وذهبها ، وريشها ، ولمن أفسد كتابته هلهلها ، ولهلهها ، وأما الهذرمة فهي السرعة في الكلام . أ . هـ .

(٢) وأما التعليق فهو فيما قيل خلط الحروف التي ينبغي تفرقتها ، وإذهاب أسنان ما ينبغي إقامة أسنانه ، وطمس ما ينبغي إظهار بياضه ، ومن ثم فإن المشق والتعليق يجتمعان في عدم إقامة الأسنان ، ويختص التعليق بخلط الحروف وضمها والمشق ببعثرتها وإيضاحها بدون القانون المألوف ، وذلك – كما قال بعض الكتاب – مفسدة لخط المبتدي ، ودال على تهاون المنتهي . (فتح المغيث ٣ / ٤٩ ، وتدريب الراوي ٢ / ٧٠) .

(٣) رواه الخطيب في جامعة ١ / ٤٠٣ .

(٤) الجامع للخطيب ١ / ٤٠٣ . والمعني : دع دواتك ولا تحملها وقت الكتابة ، والقرمطة بين الحروف المقاربة بينها ، وعدم تفريقها ، وذلك لأن القرمطة هي دقة الكتابة ، ومقاربة الخطو . القاموس / ٨٨١ .

(٥) الجامع للخطيب ١ / ٤٠١ ، وأدب الإملاء / ١٦٧ ، وفتح المغيث ٣ / ٤٨ ، وتدريب الراوي ٢ / ٧٠ .

ومن ثم قال السمعاني (١) : ويستحب أن يكتب خطا غليظاً ويجتنب الدقيق منه ، ثم قال : أنشدنا أبو محمد عبد الله بن نصر السويدي من أهل آذربيجان لنفسه من لفظه .

إذا كتبت كتابا غلـظ القلمـا محبراً في ذراه الخط والكلما

حتى يهون على الرائي تأمله فلا يقاسي له التحديق والألما

وكان بعضهم قد كتب إلي صديق له كتابا بقلم دقيق ، فكتب إليه صديقه : ما كاتبتني ولكن عوّذتني يريد أنه كتب إليه بتعويذ لأنه دقيق الخط (٢) .

قلت : وقد كانوا يثنون على أصحاب الخط المليح الجميل كما أثنى الذهبي على الحافظ المزي لحسن خطه فقال : ونسخ بخطه المليح المتقن كثيراً لنفسه ولغيره (٣) .

وقد قيل : إن جودة الخط إحدي الحسنيين (٤) قلت لأن الخط المليح الجيد ييسر القراءة مما يؤدي إلي تيسير الفهم والقراءة والفهم هما الحسنيان المقصودان من الكتابة ، فمن ثم كان الخط الجيد إحدي الحسنيين .

وأنشد بعضهم : (٥)

خـط مليـح كـأن الله أنـشـأه لم يحكـه كاتـب يوماً ولا قلم

---

(١) أدب الإملاء / ١٦٦ و ١٦٨ .

(٢) المرجع السابق / ١٦٧ . والمعني أن خطه شابه خط السحرة في كتابتهم للتعاويذ لأنها لا تقرأ

(٣) تذكرة الحافظ ٤ / ١٤٩٨ ، وفي ص ١٤٠٤ قد أثني بذلك أيضاً على ابن الأنماطي إسماعيل بن عبد الله الحافظ .

(٤) أدب الإملاء / ١٦٦ .

(٥) أدب الإملاء / ١٦٦ .

سطورُه زَهْرٌ (١) طلْبٍ (٢) على شجر حروفُه دُرَر في السَّمْط (٣) تنتظم

إلا أنهم استثنوا من كراهة دقة الخط أصحاب الأعذار كضيق الورق ، وتخفيفه للحمل في الأسفار ونحوه (٤) .

قال السمعاني : لا ينبغي للطالب أن يكتب خطاً دقيقاً إلا في حال العذر ، مثل أن يكون فقيراً لا يجد من الكاغد يبيعه (أي يجد ثمن الورق) ، أو يكون مسافراً فيدق خطه ليخف حمل كتبه عليه (٥) .

وفي اختيار التحقيق وبيانه ، وتقديمه على المشق والتعليق قال علي بن أبي طالب لكاتبه : أطل جلفة قلمك وأسمنها ، وأيمن قطتك ، وأسمعني طنين النون (٦) وخرير الخاء (٧) ، أسمن الصاد (٨) وعرج العين (٩) ، واشقق الكاف

---

(١) زهر : جمع زهرة وهو نورة النبات . القاموس / ٥١٦ .

(٢) طلب : بالكسر هو الشيء المطلوب الذي يهواه طالبه . المرجع السابق / ١٤٠ .

(٣) السمط : بالكسر هو الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك . مختار الصحاح / ٣١٣ . والمعني : أن الشاعر يمدح الخط المليح الذي لا يستطيع كاتب أن يحاكيه أو يكتب مثله ، وكأن الخط من جماله لم يكتبه قلم ولا كاتب ، إنما كأنه من صنعة الله الذي أتقن كل شيء ، ثم شبه سطوره بزهر النبات المحبوب المطلوب ، وشبه حروفه بالدرر المسلوكة في خيطها ، ويزدان بها السلك من جمالها ، وهذا تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه .

(٤) فتح المغيث ٣ / ٤٨ ، وتدريب الراوي ٢ / ٧٠ .

(٥) أدب الإملاء / ١٦٨ .

(٦) طنين النون : صوت القلم وهو يكتب ، والطنين هو الطست ، والنون تأخذ شكل الطست في الكتابة غالباً هكذا (ن) القاموس / ١٥٦٦ .

(٧) خرير الخاء : أصل الخرير صوت الماء ، وشابهت الخاء الماء في الانحدار ، فعند النزول والانحدار ينبغي أن يسمع صوت القلم . القاموس / ٤٩٠ .

(٨) أسمن الصاد : قلت : أي غلظها هكذا (ص) .

(٩) عرج العين : يعني أظهر العين وبين انعطافها لأن الشيء المنعرج هو المنعطف . القاموس / ٢٥٣ .

(١) وعظم الفاء (٢) ورتل اللام (٣) واسلس الباء والتاء والثاء (٤) وأقم الواو على ذنبها (٥) واجعل قلمك خلف أذنك (٦) يكن أذكر لك (٧) .

وفي شرح هذا النص قال السخاوي : وحينئذ فيستحب له تحقيق الخط وهو أن يميز كل حرف بصورته المميزة له بحيث لا تشتبه العين الموصولة بالفاء أو القاف ، والمفصولة بالحاء أو الخاء (٨) .

وعن تجويد الخط وتحسينه كيف يكون هو ؟ ومتي يتحقق ذلك ؟ سئل بعض كتاب المقتدر فأجاب : إذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه زاؤه ونونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، أسرع إلي العيون بصوره ، وإلي العقول بثمره ، قدرت فصوله

---

(١) أشقق الكاف : قلت : أي ميزها بفتحها عن اللام لأن اللام أقرب إلي الغلق من الشق

(٢) عظم الفاء : لتتميز عن العين التي في وسط الكلمة . فتح المغيث ٣ / ٥٠ .

(٣) رتل اللام : أي حسنها ونسقها لأن أصل الرتل بالتحريك حسن تناسق الشيء . القاموس / ١٢٩٧ .

(٤) واسلس الباء والتاء والثاء : أي جوفها وفرغها من الداخل ، لأنهم يقولون سلسلت بالتحريك الخشبة إذا نخرت وبليت . المرجع السابق / ٧٠٩ .

(٥) وأقم الواو على ذنبها : قلت : اجعلها واقفة على ذيلها هكذا (و) .

(٦) قلت : كان هذا أمراً معروفاً لدي السلف لا سيما عند الكاتبين منهم أن موضوع القلم لدى الكاتب خلف أذنه ففي الحديث عن زيد بن خالد الجهني – مرفوعاً – " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الراوي عن زيد : فرأيت زيداً يجلس في المسجد وإن السواك من أذنه موضوع القلم من أذن الكاتب ، فكلما قام إلي الصلاة استاك . وفي رواية الترمذي " ثم رده إلي موضعه " أخرجه أبو داود واللفظ له ، كتاب : الطهارة ، باب : السواك ١ / ١٢ رقم (٤٧) . والترمذي كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في السواك ١ / ٣٥ وقال : حسن صحيح .

(٧) الجامع للخطيب ١ / ٤٠٣ .

(٨) فتح المغيث ٣ / ٥٠ – ٥١ .